وسيرة هذا الملك هي الفاعل الاكبر والمؤثر الاهم . مثال ذلك انهُ لم يكن للزواج نظام في البلاد وكان الضرار شائعاً فيها فسنَّ للزواج نظاماً مدنيًّا جرى عليهِ هو وجعل الاقتصار على زوجة واحدة فرضاً على كل متخدمي الحكومة . واجرى العدل في البلاد كلها وعاقب المجرم مهما كان مقامهُ . وكان جانب كبير من دخل الحكومة يأتي من اعطاء الرخص لاماكن المقامرة فابطلها في العام الماضي وخسرت الحكومة بذلك نحو اربعة ملايين « تكال » من دخلها اي نحو ٣٠٠ الف جنيه

وعدد الجيش السياحي البري العامل نحو اربعين الفاً وعدد الجيش البحري عشرون الفاً وقد جُعل ملك الانكليز جنرال شرف في الجيش السياحي وملك سيام جنرال شرف في الجيش البريطاني . فهل يفلح هذا الملك في تزلية بلادهِ كما رقَّى امبراطور اليابان بلادهُ وهل تنهض ممالك الشرق الاقصى كلها وتجاري الممالك الاوربية ويبقى الشرق الادنى في سباتهِ وهو مهد حضارة الامم

القدس الشريف

وصفها وجغرافيتها وتاريخها

القدس الشريف مدينة في اواسط فلسطين على بعد ٣٢ ميلاً من البحر المتوسط في خط مستقيم و ٤١ ميلاً بطريق المركبات و ٥٤ ½ ميل بسكة الحديد و ١٤ ميلاً عن البحر الميت (بحيرة لوط) ارتفاعها عن سطح البحر نحو ٢٥٠٠ قدم . قدر سكانها قبل الحرب بنحو خمسة وثمانين الف نفس وكانوا في سنة ١٩٠٥ نحو ستين الفاً منهم سبعة آلاف من المسلمين وواحد واربعون الفاً من الاسرائيليين واثنا عشر الفاً من المسيحيين

وحول المدينة القديمة سور محيطهُ ٢ ½ ميل وارتفاعهُ يختلف من ٣٨ ½ قدم الى اربعين قدماً وفيهِ اربعة وثلاثون برجاً وثمانية ابواب وهي باب يافا او باب الخليل والباب الجديد او باب عبد الحميد وباب الشام او باب العمود وهو اجملها كلها وباب هيرودس او باب الزهيرة وباب القديس اسطفان او باب ستي مريم والباب الذهبي او باب الدهرية (وقد سد منذ مدة طويلة) وباب المغاربة وباب صهيون او باب النبي داود . وقد بني هذا السور في القرن السادس عشر

موقع القدس صحي وهواؤها جاف يهب عليها النسيم البليل من البحر فيلطف حرهافي اشهر الصيف و يبرد الهواء فيها في الليل وتهبط درجة الحرارة كثيراً . وتنتابها الحميات والدسنطاريا في فصل الخريف احياناً

وليس في القدس ينابيع سوى عين ستي مريم فيضطر الاهالي الى جمع ماء المطر في آبار وصهاريج و برك للاستقاء وقضاء سائر حوائجهم منها في فصل الصيف

واشهر البرك والحياض في القدس بركة الحمام (بركة حزقيا) قرب باب يافا وجنوبي دير الروم الكبير طولها مئتان وخمسون قدماً وعرضها مئة وخمسون قدماً وماؤها مستمد من بركة جيحون العليا. والصهاريج الكبيرة التي تحت ارض الحرم الشريف واشهرها الصهريج الاسود او البحر الاعظم وهي تسع اكثر من مليوني غالون من الماء . وبئر الورقة تحت المسجد الاقصى . وبئر الرمان وكان الجانب الاكبر من ماء هذه الآبار يأتي من برك سليمان بقنوات مرفوعة . وهذه البرك واقعة على طريق الخليل وهي مؤلفة من ثلاث برك بعضها منحوت في الصخر و بعضها مبني بحجارة كبيرة وقعر كل بركة منها اعلى من سطح البركة التي تليها وماؤها مستمد من ينابيع عين صالح وعين عطان وعين فروجه وتبع رابع في حصن قديم لا اسم له . وقد اشرنا الى بركة سلوان في غير هذا المكان

وفي القدس اديرة عديدة منها ١٨ للروم الارثوذكس و ١٤ للاتين و ٣ للارمن الارثوذكس وديران لكل من الروم الكاثوليك والاقباط والاحباش واليعاقبة والارمن الكاثوليك وديركبير جداً للروس

وفيها الحرم الشريف وهو قائم على مكان هيكل سليمان تبلغ مساحته ٣٥ فداناً او نحو سدس مساحة القدس كلها . وفيه الصخرة وقبتها والمسجد الاقصى

والمدينة مقسومة الى اربعة احياء وهي حي النصارى وحي الارمن وحي المسلمين وحي اليهود . واكبر شوارعها شارع النبي داود وهو يمتد من باب يافا الى الحرم (باب السلسلة) . وشارع باب العمود وهو الشارع الذي يمتد من جنوبي باب الشام الى باب النبي داود . وشارع النصارى وهو يمتد غربي كنيسة القيامة والمارستان . وشارع درب الآلام (فيادلا روزا) وهو يبتدىء من كنيسة القيامة وينتهي عند باب النبي داود ويتألف من بضعة شوارع

ويحيط بالقدس من الجنوب وادي ابن هنوم او وادي الرباني وفيه قبور منحوتة في

الصخر والقدمة وهي غار كبير في جوانبه مدافن عديدة . ومن الشرق وادي قدرون او وادي ستي مريم وفي طرفه الجنوبي بركة سلوان (سلوام ؟) وكنيسة قبر العذراء والبور اشالوم ويهوشافاط وزكريا والقديس يعقوب ومدافن اليهود وبئر ستي مريم . ويلي هذا الوادي من الشرق بستان جثسيماني وجبل الزيتون (الطور) ومن الشمال وادي الجوز

وكانت القدس القديمة او اورشليم مقسومة الى اربعة اقسام وهي المدينة العليا او القسم الغربي . والمدينة السفلى او القسم الاوسط . ومدينة داود او القسم الشرقي . وصهيون او القسم الشمالي الشرقي وفيه الهيكل وقصر سليمان

وكانت قبل سنة ١٨٥٨ محصورة في داخل السور ولكنها اخذت تتسع منذ تلك السنة وتنمو حولها الضواحي في الشمال والشمال الغربي والغرب والجنوب الغربي ولقد صارت هذه الضواحي اكبر من المدينة نفسها

وتمتد من القدس سكك مركبات (شوسه) الى يافا والخليل وبيت لحم واريحا ونابلس فالناصرة

ولم تشتهر القدس في تاريخها بصناعة من الصناعات ولكن تصنع فيها الآن التحف والادوات من خشب الزيتون وعرق اللؤلؤ وتباع للسياح والحجاج الذين يؤمون القدس الوفاً في كل عام . و يقدر عدد السياح والحجاج الذين يزورونها من خمسة عشر الفاً الى عشرين الف نفس في كل عام . وكانت تلحق بايالة الشام وتارة بايالة عكاء واخرى بايالة صيداء . ولما وضع نظام الولايات الجديد في سنة ١٨٦٤ الحقت بولاية سورية ثم فصلت عنها في سنة ١٨٧٢ وجعلت متصرفية مستقلة تتاوض الباب العالي رأساً في شؤونها

واعظم مشاهد القدس كنيسة القيامة (القبر المقدس) والحرم الشريف والمارستان ودرب الآلام ومحل مناحة اليهود وقصر جلود (قامة الجلجثة) والقامة (قصر داود) والنبي داود وقبر النبي داود . اما كنيسة القيامة فمؤلفة مما لا يقل عن خمس وثلاثين كنيسة « وكابلا » ومذبحاً للروم الارثوذكس واللاتين والاقباط والسريان والاحباش والارمن وسواهم من الطوائف المسيحية . واقدم بناء في هذه الكنيسة من القرن السادس بعد المسيح . والحرم الشريف مؤلف من قبة الصخرة وهو مسجد متين الاضلاع عليه قبة عظيمة وفيه الصخرة التي قدم عليها ابراهيم الخليل وملكي صادق الذبائح بناءُ عبد الملك بن مروان وجدد بناءهُ المأمون وصلاح الدين الايوبي والسلطان سليمان القانوني . وقبة المعراج التي أقيمت تذكاراً لصعود النبي محمد الى السماء وقبة النبي وقبة الارواح وقبة الخضر . والمسجد الاقصى

الذي امر ببنائة الخليفة عمر بن الخطاب والمسجد الابيض للنساء ومسجد الشهداء الاربعين واسطبلات سليمان وهو بناء عظيم معقود طولهُ ٢٧٣ قدماً وعرضهُ ١٩٠ قدماً ومسجد عرش سليمان . ومحل مناحة اليهود هو بقية من سور اورشليم القديم طولها ١٥٦ قدماً وعلوها ٥٦ قدماً وهي مبنية من حجارة ضخمة يبلغ طول بعضها ١٦ قدماً . والمارستان وهو موقع الدير الذي بناهُ الامبراطور شرلمان اهداهُ السلطان عبد العزيز الى ولي عهد بروسيا فردريك ولما والد الامبراطور الحالي لما زار الاستانة في سنة ١٨٦٩ وبنى الالمان فيهِ كنيسة المخلص التي « دشنها » امبراطور المانيا سنة ١٨٩٨ وفي هذا المكان نقوش جميلة تمثل شهور السنة وفصولها والشمس والقمر . ودرب الآلام وهو مؤلف من اربع عشرة مرحلة تبتدئ من كنيسة صغيرة في القشلاق العثماني في طريق باب ستي مريم وتنتهي في كنيسة القبر المقدس . وقصر داود وهو مجموعة من الابراج يحيط بها خندق كبير

وخارج القدس ولاسيما عند باب يافا ضاحية كبيرة اكبر من المدينة نفسها فيها الاديرة والكنائس والمآوي للحجاج والسياح والمدارس والمستشفيات واكبرها الابنية الروسية وهي مؤلفة من مستشفى وصيدلية ودار للمرسلين والقنصلية الروسية والكنيسة الكتدرائية ومآوي الحجاج للرجال والنساء . ويليها المدرسة الالمانية والمأوى الالماني الكاثوليكي ومدرسة القديس بطرس والملجأ الالماني للبنات الايتام ومدرسة شنلر للايتام الصبيان والقنصلية النمسوية ومستشفى المدينة والقنصلية الفرنسوية والقنصلية الالمانية والمستشفى الالماني والقنصلية الاميركية ومدارس ومستشفيات اخرى عديدة . وهذه الضاحية هي متنزه اهل القدس . ويضيق المقام عن ذكر مشاهد القدس كلها لان كل شبر من المدينة لهُ ذكرى تاريخية عظيمة

اما تاريخها الحافل بالحوادث العظام اعظمها ظهور السيد المسيح فيها ينشر ديانتهُ . وقد توالى عليها الفاتحون من كل امة من امم الشرق والغرب اقربهم . واول ما ورد ذكرها في التاريخ في القرن الرابع عشر قبل المسيح فانهُ عثر في آثار تل العمارنة (في مصر) على كتب من اميرها عبدي خبا الى فرعون مصر وكانت تدعى حينئذٍ يورسليم وكانت ذات شأن كبير وخاضعة لفراعنة مصر ثم صيت يبوس وكانت معقل اليبوسيين وانتزعها منهم داود الملك وجعلها عاصمة مملكتهِ وبنى سليمان فيها هيكلهُ المشهور . ولما انقسمت مملكة اسرائيل صارت اورشليم عاصمة مملكة يهوذا في سنة ٩٧٠ قبل المسيح ثم حصرها شيشق فرعون مصر ودخلها بلا مقاومة ودعمها الفلسطينيون والعرب وتملكوها وسبوا نساءها

ثم قصدها ملك دمشق فدفعت اليه آنية بيت المقدس ليرجع عنها ثم نهبها ملك اسرائيل وهدم جانباً من اسوارها واتفق ملك دمشق مع ملك اسرائيل بعد ذلك فحاصرا المدينة وعاثا في جوارها فاستنجد ملكها بتغلث فليسر ملك اشور ومناهُ بالمال فتكثير فقدم الى نجدته وفك الحصار عنهُ . ثم جاءها سخاريب ملك اشور محارباً فعاهدهُ ملكها على مال ولكن سخاريب نقض عهدهُ وارتد عليها فتغلب على امره وانهزم جيشهُ . وبعد ذلك أتاها فرعون نخو ملك مصر واسر ملكها وولى آخر مكانهُ فظل يدفع الجزية لهُ ثلاث سنوات . وفي سنة ٦٠٦ دهمها نبوخذ نصر وسلب امتعة الهيكل واسر ملكها واخذهُ الى بابل وعاد اليها بعد ذلك وسبى بعض اهلها وولى ملكاً آخر عليها فعصيهُ بعد حين وجاءهُ نبوخذ نصر محارباً وحصرهُ فاستنجد بملك مصر فقدم لنجدته فرفع نبوخذ نصر الحصار وزحف على المصريين فكسرهم وعاد الى اورشليم ففتحها وسبى اهلها كلهم ولم يبق احداً منهم . ولما تولى كورش سرير فارس اعاد اليهود الى اوطانهم فشرعوا في بناء الهيكل ولكنهم افتروا الى التوقف عن اتمامهِ مراراً واخيراً اتموا بناءهُ في سنة ٥١٦ قبل المسيح . وجاءها الاسكندر بعد فتحهِ لصور وغزة فخضع لهُ اليهود فسرهُ ذلك منهم واعفاهم من الجزية سنة من كل سبع سنوات . وفي سنة ٣٢٠ حصرها بطليموس سوتير وفتحها واسر مئة الف من اليهود وبعث بهم الى مصر وشمال افريقية ثم توالت عليها الحروب التي دارت بين الدولة الانطوخية في سورية ودولة البطالسة في مصر واستولى عليها اخيراً انطيوخس الكبير واعطاها صداقاً لابنتهِ كليوبطرة لما تزوجت بطليموس ايفانس ثم استرجعها في سنة ١٧٠ قبل المسيح وولى عليها والياً عاتياً فاساء التصرف وظلم اليهود واكرههم على عبادة الاوثان فقام رجل يهودي اسمهُ متاتايا واثار ثورة على السوريين المكدونيين ولكنهُ توفي قبل فوزهِ فقام باعباء الدعوة بعدهُ ابنهُ يهوذا وكان يقال لهُ المكابي فحارب السوريين حرباً تشيب لهولها الرؤوس وانقذ بلادهُ واسس الدولة المكابية التي اشتهرت في فلسطين وحكمتها واخيراً قام النزاع الداخلي في اورشليم ولاسيما بين الصدوقيين والفريسيين واستنجد هركانس بالحرث ملك العرب فجاءها وحاصر ارسطوبولس المكابي في الهيكل وما زالا هنالك حتى رفع الحصار عنهُ بومبيوس القائد الروماني وفتح اورشليم سنة ٦٥ بعد المسيح وقتل خلقاً كثيراً في الهيكل . وظلت اورشليم بيد الرومانيين حتى ثارت فتنة اليهود المشهورة وظلوا يحاربون الرومان حتى دمرهم طيطس بن اسبسيانوس القيصر الروماني وفتح اورشليم واوقع باهلها وخرب المدينة واقام عليهم الخفراء . ونسي ذكر اورشليم بعد ذلك الى سنة ١٣٠ بعد المسيح لما عاد

اليهود اليها وشقوا عصا الطاعة على الرومان فجاءها قائد الامبراطور دريانوس فخربها وملح ارضها بالمحراث سنة ١٣٢ وبنى مدينة جديدة سماها ايليا كيابتولينا ومنع اليهود من الدنو منها الى مسافة ثلاثة اميال وظلوا على هذه الحال الى القرن الرابع لما سمح لهم بدخولها مرة في السنة وظل يتولاها قضاة من الرومان الى زمن الامبراطور قسطنطين وبنت الامبراطورة هيلانه كنيسة في مكان هيكل الزهرة واعاد قسطنطين لاورشليم اسمها على انها حفظت اسم ايليا زمناً طويلاً حتى ايام العرب

ودهم الفرس اورشليم في القرن السابع (سنة ٦١٤) بقيادة كسرى الثاني ففتحوها وقتلوا خلقاً كثيراً من اهلها وغنموا منها اموالاً لا تحصى ثم استرجعها الملك هرقل في سنة ٦٢٨ وقصدها العرب في سنة ٦٣٨ بقيادة ابي عبيدة وشدد عليها وعرض على اهلها التسليم فقبلوا بشرط ان يسلموا للخليفة عمر بن الخطاب فاتاها عمر وسلمت اليه

فكتب لهم رقعة هذا نصها نقلاً عن ابن خلدون

« بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب لاهل ايليا انهم آمنون على دمائهم واولادهم ونسائهم وجميع كنائسهم لا تهدم ولا تسكن »

وكان شرلمان على احسن حال مع هرون الرشيد فكان يرسل في كل سنة وفداً الى اورشليم بالهدايا الى الخليفة والاموال لفقراء المسلمين ويعود الوفد حاملاً مفاتيح القيامة والقبر المقدس وفي سنة ٧٧٠ ازحف على المدينة الستين الف تركي اخوارزمي فاخذها ودخلت المدينة في حيازة ملك شاه حتى سنة ١٠٩٩ لما جاءها الافرنج ومن ثم دارت الحروب الطويلة عليها بين العرب والافرنج وهي المسماة بالحروب الصليبية وتوج فيها الملك فردريك بربروسا الالماني برضى الملك العادل واذنه ثم استولى عليها اخوارزميون ودخلت في حيازة ملك مصر ثم صارت الى المماليك المصريين حتى انتزعها منهم السلطان سليم الاول سنة ١٥١٧ وفي سنة ١٨٣٤ فتحها ابراهيم باشا الكبير ثم اعيدت الى العثمانيين بمساعدة دول اوربا العظمى

وقد كتب المؤرخون والكتاب عن القدس اكثر مما كتبوه عن اية مدينة اخرى - وكفى بذلك شاهداً على عظم قدرها وما لها من الشأن العظيم في مشارق الارض ومغاربها

(عن المقطم)